الموقف الوطني لعلماء الحِلَّة من الاحتلال البريطانيّ للعراق ١٩١٤

أ.م.د. صبا حسين مولى
الجامعة المستنصريَّة/قسم الدراسات التاريخيَّة
أ.م.د. غصون مزهر حسين
الجامعة المستنصريَّة/قسم الدراسات التاريخيَّة
مركز المستنصرية للدراسات العربيَّة الدولية

The National Stance of Al-Hilla Scholars Regarding the British Occupation of Iraq (1914)

Asst. Prof. Dr. Saba Hussein Mawla
Al-Mustansiriya University/Department of Historical Studies
Asst. Prof. Dr. Ghusoon Mizher Hussein
Al-Mustansiriya University/Department of Historical Studies

الملخَّص

لقد كان اندلاع الحرب العالميَّة الأولى عام ١٩١٤ حدثًا تاريخيًّا، غيَّر خارطة المناطق التي كانت مسرحًا للعمليَّات العسكريَّة لهذه الحرب، إضافة إلى آثارها في توزيع مناطق النفوذ والسيطرة للدول الاستعماريَّة ذات المطامع في السيطرة على مناطق الثروات، الأمر الذي شكَّل حركات مقاومة من قِبَل شعوب هذه المناطق، ومن ضمنها بلاد وادي الرافدين، التي تصدَّى أهلها لمقاومة المحتلِّ البريطانيّ بقيادة علماء المرجعيَّة الدينيَّة في جميع مناطق البلاد، ولاسيما في المناطق التي كانت فيها المدارس الدينيَّة، ومن هذه المدن المهمَّة الحِلَّة ونخبتها العلميَّة والوطنيَّة ذات الموفور الأدبيّ والثقافيّ والدينيّ، ورفضت الاحتلال البريطانيّ، وساهمت في ثورة العشرين الشهيرة، التي ساهم فيها كبار علماء الحِلَّة ووجهائها، وقد عبَّروا عمَّا يجيش في صدورهم من كُرهٍ ومقتٍ للأجنبيّ عِبر المجالس الدينيَّة والأدبيَّة التي كانت زاخرة في ذلك الوقت.

عمل البحث على دراسة المواقف الوطنيَّة لعلماء الحِلَّة بسردٍ تاريخيٍّ، ووصفٍ تحليليٍّ للمواقف، مع ذِكر أهمِّ الأحداث التاريخيَّة، فاهتمَّ المبحث الأوَّل بتسليط الضوء على الاحتلال البريطانيّ للعراق ١٩١٤، أمَّا الثاني، فقد أعطى صورة واضحة لموقف علماء الحِلَّة من الاحتلال البريطانيّ.

الكلمات المفتاحيَّة: الموقف الوطنيّ، علماء الحِلَّة، الاحتلال البريطانيّ، الثورة العراقيَّة.

Abstract

The outbreak of World War I in 1914 was a landmark historical event that reshaped the map of the regions serving as theaters for military operations. Furthermore, it significantly influenced the distribution of spheres of influence among colonial powers seeking to control resource-rich areas. This situation catalyzed resistance movements among the inhabitants of these regions, including Mesopotamia (Iraq), where the people confronted the British occupation under the leadership of the religious authority (Al-Marja'iyya). This resistance was particularly potent in cities housing religious schools, most notably the city of Al-Hilla, with its scholarly and national elite known for their rich literary, cultural, and religious heritage. They rejected the British occupation and played a vital role in the famous 1920 Revolution (Thawrat al-Ishrin), involving Al-Hilla's senior scholars and notables. These figures expressed their profound resentment and hatred for the foreign occupier through the religious and literary assemblies that were flourishing at the time.

This research examines the national stances of Al-Hilla's scholars using a historical narrative and an analytical description of their positions, while highlighting key historical events. The first section focuses on the British occupation of Iraq in 1914, while the second provides a clear depiction of the stance taken by Al-Hilla's scholars regarding the British occupation.

Keywords: National stance, scholars of Hilla, British occupation, Iraqi revolution

المقدِّمة

تجمَّعت عوامل عدَّة جعلت مدينة الحِلَّة تتفرَّد عن سواها، بوصفها بيئة علميَّة أدبيَّة دينيَّـة، منها: موقعها الجغرافيّ، وبيئتها الطبيعيَّة، من عذوبة الماء، ونقاوة الهواء، واعتدال المناخ، حتَّى سـمِّيت بـ(عـروس الفرات)، و(كعبة العلم)، وقد سـاعد قربها من المراكز الدينيَّـة المقدَّسـة، في كربـلاء والنجف، على أن تكـون مصدرًا من مصـادر الحفاظ على الثقافة العربيَّة والإسـلاميَّة، وخزائـن الكتب والعلم والتاريـخ، في الوقت الذي غطَّى الجهل الكثير من الأقاليم العربيَّة الأخرى، وفي القرن التاسع الهجريّ، كان ازدهار علوم الدين والأدب والشعر تتفتَّح في رياض الحِلَّة، وقد وصفها وقال فيها المؤرِّخ عبد الرزاق الحسنيّ، في أوَّل جريدة صدرت في الحِلَّة (الفيحاء) بقوله: «الفيحاء كما عرفها من درس تأريخها المجيد كانت (بلدة دبيس) في أيَّام العبَّاسيِّين، زهراء بعلمائها، إذ كانت محطَّ أنظار رجال العلم والأدب، ونشأ في كنفها الكثير من المحدِّثين والمفسِّرين والفقهاء والشعراء، وممَّا ينقله الرواة في كتبهم أنَّه نشأ فيها سبعمائة مجتهد في عصرٍ واحد».

وكان لهذا الموفور الثقافيّ، والفكر المتنوِّع، والبيئة العلميَّة، أن يمتدَّ لتصبح محطَّ العلماء والشـعراء والأدباء، وقد أنجبت هذه المدينة نخبة من الأدباء والعلماء من فحول الشـعر والأدب، كما ذكرهم الأستاذ محمَّد مهدي البصير في نهضة العراق الأدبيَّة، وسائر مؤرِّخي الأدب، فكان للسيِّد حيدر الحِلِّيّ، والشيخ حمَّادي نوح، والكوَّازَين، والحاج حسن القيِّم، والقزوينيّ، والشـيخ حسـن العذاريّ، ورجب البرسيّ.. وغيرهم كثير ممَّن نهلوا وأعطوا فيضًا، من الروائع الحِلِّيَّة شعرًا فلسفيًّا، فاضت به الكتب والمخطوطات.

وقد امتدَّ هذا الموفـور الأدبيّ والثقافيّ والدينيّ على صورة حلقات وتجمُّعات أدبيَّة ودينيَّـة، رفضت الاحتـلال البريطانيّ، وحينهـا اندلعت ثورة العشرين الشـهيرة، التي سـاهم فيهـا كبار علماء الحِلَّـة ووجهائها، وقد عـبَّروا عمَّا يجيـش في صدورهم من كُرهٍ ومقتٍ للأجنبيّ عبر المجالس الدينيَّة والأدبيَّة التي كانت زاخرة وقت ذاك.

عمل البحث على دراسـة المواقـف الوطنيَّة لعلـماء الحِلَّة بـسردٍ تاريخيٍّ، ووصفٍ تحليليٍّ للمواقف، مع ذِكر أهمِّ الأحداث التاريخيَّة، فاهتمَّ المبحث الأوَّل بتسليط الضوء عـلى الاحتلال البريطانيّ للعراق ١٩١٤، أمَّا الثاني، فقـد أعطى صورة واضحة لموقف علماء الحِلَّة من الاحتلال البريطانيّ.

المبحث الأوَّل

الاحتلال البريطانيّ للعراق ١٩١٤

وصلت الحملة البريطانيَّة إلى مياه شطِّ العرب في يوم ٣ تشرين الثاني ١٩١٤م، وفي عشية الغزو العسكريّ البريطاني، أصدر السير برسي كوكس، الضابط السياسيّ المرافق للقوات البريطانيَّة، بيانًا زعم فيه أنَّ حكومته قد أُجبرت على الحرب؛ نظرًا للموقف المعادي من قبل العثمانيِّين، لذا أرسلت بريطانيا قوَّاتها لحماية تجارتها وأصدقائها، وإجلاء الأتراك من المنطقة، وأن لا عداء لها مع العرب، شريطة ألَّا يحموا الجنود الأتراك، ولا يحملوا السلاح في تجوالهم، وأكَّد منع ذلك، كي يجرِّد السكَّان من وسائل الدفاع عن أنفسهم، في ظرفٍ غابت فيه السلطة المحليَّة الحامية، وبذلك يتسنَّى لجيشه الغازي أن يتوغَّل بسهولة.

نزلت القوات البريطانيَّة في الفاو في ساعة متأخِّرة من يوم ٦ تشرين الثاني، ورُفِع عليها العلم البريطانيّ، بعد مقاومة طفيفة اضطر بعدها الجنود العثمانيُّون إلى الانسحاب، وبذلك تمكَّنت بريطانيا من السيطرة على مدخل شطِّ العرب، أمَّا السلطات العثمانيَّة في البصرة فلم يصل إليها خبر احتلال الفاو إلَّا في اليوم التالي من المدنيِّين الذين غادروا المنطقة إلى البصرة، فاستعدَّت القوَّات العثمانيَّة لتصدَّ التقدُّم البريطانيّ باتِّجاه البصرة، إلَّا أنَّ حركة هذه القوَّات كانت غير نظاميَّة ولا مدروسة، بل مليئة بالأخطاء والإرباك الشديد، من حيث تقدُّم القوَّات للاحتلال، ولم تقدِّم الاستخبارات العثمانيَّة

أيَّـة معلومـات لقائد القوَّة عن موقع تواجـد القوَّات البريطانيَّـة، ولم تكن لديه خريطة للمنطقـة. وخلاصة القـول إنَّ القيادة العثمانيَّة اعتمدت عـلى الارتجاليَّة دون التخطيط وفق الحسابات العسكريَّة الدقيقة(١).

أمَّا الخطط العسـكريَّة والإمدادات البريطانيَّة، فكانت مبنيَّة على حسـابات دقيقة، وتقديـرات جيِّدة منذ بداية تحرُّك القـوَّات البريطانيَّة من الهنـد، مكَّنت البريطانيِّين من دحر العثمانيِّين في معارك السنيَّة وسيحان وكوت الزين، وفُتِح الطريق أمام هذه القوَّات لاحتـلال مدينـة البصرة، حيث انسـحبت القـوَّات البريطانيَّة باتِّجاه القرنـة، ودخلتها القـوَّات البريطانيَّـة في يـوم ٢٢ تشريـن الثـاني، وفي اليـوم التالي اسـتعرضت القوَّات البريطانيَّـة في البصرة، ورفع العلم البريطانيّ على سـطح أحد المباني الرئيسـة، وأطلقت البحريَّـة البريطانيَّة مدافعهـا تحيَّةً له، ووجَّهت قوَّات الاحتـلال خطابًا دعت فيه أهالي البـصرة إلى التعاون معها باعتبارها السـلطة الوحيـدة القائمة واقعيًّـا، ووعد الخطاب بالحريَّة والعدالة(٢).

قامـت القوَّات البريطانيَّة، بعد احتلالها لمدينة البصرة، بإقامة المعسـكرات لسـكَن قوَّاتها، وإنزال معدَّاتها العسـكريَّة، والقيام بدوريَّات الحراسـة، والبحث عن الأسلحة في القـرى المحيطـة بالبصرة، وتقـرَّر مطاردة القـوَّات العثمانيَّة المنسـحبة باتِّجـاه القرنة والزبـير، وقد أعطـى الاحتـلال القرنة أهميَّـة كبيرة؛ لموقعهـا العسـكريّ، وصلاحيَّة الملاحة في الخليج العربيّ، وغِنى المنطقـة الزراعيَّة، وإحاطتها بإقليم الأحواز، فتقدَّمت

(١) فلاح محمود خضر البياتيّ، وعبد الكريم حسـين عبد، سياسة الاحتلال البريطانيّ للعراق في منطقة الفرات الأوسط ١٩١٧-١٩٢٠، مجلَّة كليَّة التربية الأساسيَّة، جامعة بابل، العدد ٦، آذار ٢٠١٢.

(٢) فيليـب ايرلند، العراق (دراسـة في تطـوُّره السياسـيّ)، ترجمة: جعفر الخيَّاط، دار الكشَّـاف، بيروت، ١٩٤٩، ص٤٦.

القوَّات البريطانيَّة واحتلَّت المدينة بعد استسلام القوَّات العثمانيَّة في يوم ٩ كانون الأوَّل ١٩١٤[١].

وبدخول القرنة، أصبح البريطانيُّون يسيطرون على ملتقى نهرَي دجلة والفرات، والطريق الملاحيّ إلى الخليج العربيّ. لقد أوضحت الانتصارات البريطانيَّة السريعة ضعف الأتراك، وعدم استعداد القيادة العثمانيَّة في العراق للوقوف بوجه الغزو البريطانيّ، لهذا أعاد العثمانيُّون النظر في تنظيم قوَّاتهم النظاميَّة في العراق، وعملوا على كسب تأييد العراقيِّين لهم، عن طريق إعلان الجهاد المقدَّس الذي كان له أثره في توجيه الرأي العام المتأثِّر بالعواطف الدينيَّة لحمل السلاح بوجه البريطانيِّين، وبلغ عدد المتطوِّعين بين ١٠-١٥ ألف مقاتل، وقد توجَّه هؤلاء لمقاتلة القوَّات البريطانيَّة المتمركزة في الشعيبة قرب البصرة[٢].

احتشدت القوَّات العثمانيَّة بقيادة سليمان عسكري بك، ومعها قوَّات المتطوِّعين، وبدأت بمناوشة القوَّات البريطانيَّة، وبدأ الهجوم الفاصل صباح يوم ١٢ نيسان ١٩١٥، ولكنَّه كان هجومًا فاقدًا لعنصر المباغتة؛ نظرًا لما سبقته من شواهد دالَّة عليه، فقام البريطانيُّون بهجوم مضادٍّ أسفر عن انتصارٍ كاسحٍ للقوَّات البريطانيَّة، ووقعت إصابات كبيرة في صفوف القوَّات العثمانيَّة، وتعدُّ معركة (الشعيبة) من المعارك الحاسمة في تاريخ عمليَّة الاحتلال البريطانيّ للعراق[٣]، فقد فتَّت معنويَّات القيادة العثمانيَّة، ولاسيما عند انتحار القائد سليمان العسكريّ، زأوجدت الشكوك بين الناس ضعف

(١) ابراهيم خليل أحمد و جعفر عباس حميدي، تاريخ العراق المعاصر، الموصل، ١٩٨٩، ص٤٦.

(٢) علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج٤، بغداد، مطبعة الشعب، ١٩٧٥، ص١٩٦-١٩٧.

(٣) ابراهيم خليل أحمد وجعفر عباس حميدي، المصدر نفسه، ص١١-١٢.

صمـود العثمانيِّين أمام الغـزو البريطانيّ، وعُدَّت معركة الشـعيبة مأسـاة تاريخيَّة مهمَّة بالنسـبة إلى العثمانيِّين. وبعد هزيمة العثمانيِّين في القرنة والشـعيبَّة تقهقرت قوَّاتهم نحو العـمارة والناصريَّة، بيدَ أنَّ القوَّات البريطانيَّة لاحقتهـا، واتَّجهت قوَّة بريَّة ومائيَّة في نهر دجلة إلى العمارة، فاحتلَّتها في ٢ حزيران ١٩١٥، واحتلَّت قوَّة أخرى اتَّجهت عن طريق الفـرات الناصريَّة في ٢٥ تمُّـوز، وبعد معارك دامية تمَّ للبريطانيِّين السـيطرة على المثلَّث الواقـع بين البـصرة والعمارة والناصريَّـة، وأصبحت ولايـة البصرة كلُّهـا تقريبًا تحت الاحتلال البريطانيّ[١].

شجَّع احتلال ولاية البصرة، والانهيار السريع للمقاومة العثمانيَّة والشعبيَّة، القادة العسـكريِّين البريطانيِّـين على طلب التقدُّم نحـو بغداد، وأوضح السـير برسي كوكس (Sir Percy Cox)، رئيـس قادة الحملة السياسـيِّين، في برقيَّـة بعثها إلى نائب الملك في الهند، بأنَّه لا يرى كيف يمكن ترك احتلال بغداد، وقد أخذت حكومة الهند على عاتقها تحقيق فكرة الزحف نحو بغداد، بعد تعيين الجنرال جون نيكسون (John Nixon) إلى القيادة ما بين النَّهرَين في ٩ نيسـان ١٩١٥، وخوَّلتـه بالزَّحف على بغداد إذا كان مقتنعًا بأنَّ القوَّة المتوفِّرة لديه تكفي للقيام بالعمليَّات المطلوبة[٢].

تقدَّمـت الحملة البريطانيَّة عن طريق نهر دجلة باتِّجاه بغداد، وكانت بقيادة الجنرال تاوزنـد، الذي كان يعتقد في ضوء خبرته السـابقة، ضعف مقاومـة الأتراك، وأنَّ قوَّاته لن تجـد صعوبة في احتلال بغداد. أمَّا العثمانيُّون فقد عمدوا إلى تجميع قوَّاتهم المندحرة، وشـكلوا لجنـة تحصين مدينة بغـداد؛ للدفاع عنهـا، وحدثت أوَّل معركـة بين الطرفَين

(١) مذكرات تحسين عليّ (١٨٩٠-١٩٧٠)، تقديم ومراجعة: د. صالح العابد، بيروت، ٢٠٠٤، ص٤٤.

(٢) هنري فوسـتر، نشـأة العراق الحديث، الجزء الأوَّل، ترجمة: سليم طه التكريتي، الطبعة الأولى، بغداد، ١٩٨٩، ص٥٦.

بالقرب من الكوت، في ٢٧ أيلول ١٩١٥، استمرَّت نحو عشرين ساعة، واشترك فيها الأسطولان النهريَّان البريطانيّ والتركيّ[١]، وانتهت بانتصار البريطانيِّين، وانسحاب العثمانيِّين إلى خطوط دفاعيَّة جديدة أقاموها قرب المدائن، بعد أن خسروا ١٧ ألف قتيل وجريح، و١٢٨٩ أسير، ثمَّ واصل البريطانيُّون تقدُّمهم نحو بغداد بعد استعدادات دامت ستَّة أسابيع.

استعدَّ العثمانيُّون بقيادة نور الدين لملاقاة البريطانيِّين قرب المدائن، وحصلوا على إمدادات عسكريَّة من الأناضول، ووصل إلى بغداد الجنرال الألمانيّ فون دوكولتز لتنظيم الدفاعات العثمانيَّة، ودارت معركة ضارية بين الجانبَين، وخلال المعركة عُزِّزت القوَّات العثمانيَّة بفرقة جديدة بقيادة خليل بك، الأمر الذي مكَّن العثمانيِّين من توجيه ضربة قويَّة اضطرت القوَّات البريطانيَّة إلى الانسحاب والتراجع نحو الكوت، بعد أن تكبَّدت خسائر فادحة بلغت في يوم ٢٢ تشرين الثاني وحده ٤٥١١ قتيلا[٢].

استغلَّت القوَّات العثمانيَّة الانكسار البريطانيّ في المدائن، وقامت بتعقُّب القوَّات البريطانيَّة المتراجعة، وتمكَّنت من محاصرة البريطانيِّين في مدينة الكوت في ٧ كانون الأوَّل ١٩١٥، وقد استمرَّ الحصار حوالي خمسة أشهر، ذاق فيها البريطانيُّون ويلات الحصار، فأكلوا لحوم الخيل، وخلعوا أبواب البيوت وشبابيكها؛ لاستعمالها في الوقود، وقد حاول البريطانيُّون عدَّة مرَّات إنقاذ جيشهم المحاصر دون جدوى، وأجرَوا مفاوضات مع العثمانيِّين لرفع الحصار، مع استعدادهم لوضع مليون أو مليوني ليرة لخليل باشا قائد القوَّات العثمانيَّة، لكنَّه امتنع عن قبول هذه الرشوة،

(١) هنري فوستر، المصدر السابق، ص٧٨.

(٢) طونزند، مذكِّرات الفريق طونزند، ترجمة: حامد أحمد الورد، الدار العربيَّة للموسوعات، ط٢، د.م، ١٩٨٦، ص٣٥٩، ٤١٨.

وأصرَّ على التسليم دون قيد أو شرط، فاضطرَّ البريطانيُّون إلى الاستسلام في يوم ٢٩ نيسان ١٩١٦[١]، بعد أن أتلفوا سلاحهم ومعدَّاتهم، وبلغ عدد القوَّات التي استسلمت ١٣٥٠٠ جندي، عدا الضبَّاط، وأُرسل هؤلاء أسرى إلى الأناضول.

إنَّ تسليم الكوت كان نهاية محزنة لمشروع كان الهدف منه احتلال بغداد، وأنَّ خسائر البريطانيِّين منذ البداية حتَّى تسليم الكوت كانت كبيرة، إذ بلغت ٤٠ ألفًا بين قتيل وأسير، وأخيرًا فإنَّ تسليم الكوت كان ضربة قويَّة لسمعة البريطانيِّين.

في الوقت الذي كانت فيه القوَّات البريطانيَّة محاصرة في الكوت، عقدت بريطانيا اتِّفاقيَّة سريَّة مع الحلفاء؛ لاقتسام الممتلكات العثمانيَّة، عُرِفت باسم اتِّفاقيَّة سايكس- بيكو[٢]، فقد عُيِّنَ البريطانيّ مارك سايكس، والفرنسيّ جورج بيكو لإجراء المفاوضات نيابةً عن الدولتَين. ولا بدَّ من الإشارة هنا إلى أنَّ بريطانيا كانت في الوقت نفسه قد دخلت في مفاوضات مع الشريف حسين في الحجاز؛ لتضمن مساعدته في الحرب ضدَّ الدولة العثمانيَّة، وقد اشترط الشريف حسين أن تكون هذه المساعدة متوقِّفة على اعتراف بريطانيا بأماني العرب القوميَّة، وإذ كانت الحكومة الفرنسيَّة شاعرة باحتمال عقد صفقة عربيَّة- بريطانيَّة، وتوَّاقة إلى الحصول على جزء من الإمبراطوريَّة العثمانيَّة لنفسها، فقد ألحَّت على الاعتراف بمطالبها[٣].

(١) أمين سعيد، الثورة العربيَّة الكبرى، الجزء الثاني، القاهرة، د.ت، ص٤-٩.
(٢) وميض جمال عمر نظمي، ثورة١٩٢٠، ط٢، بيروت، ١٩٨٥، ص١٧٣.
(٣) عبد الرحمن البزَّاز، محاضرات عن العراق من الاحتلال حتَّى الاستقلال، ط٢، القاهرة، ١٩٦٠، ص١٥.

ولـمَّا أقدمت بريطانيا وفرنسا على تحديد حقوقهما على هذه الشاكلة، رغبةً في الحصول على مصادقة روسيا عليها، أرسل سايكس وبيكو إلى سان بطرسبورغ في أوائل ربيع عام ١٩١٦، وهناك عرضا لائحة اتِّفاقيَّتهما، وحصلا على مصادقة روسيا عليها، ولكن بعد أن كان الثمن الاعتراف بمطالب روسيَّة أخرى في المنطقة، وقد اتُّخذت هذه الصفقة فيما بعد شكلًا رسميًّا في ٢٦ نيسان ١٩١٦، باسم اتِّفاقيَّة سازونوف- باليولوغ، وقد أصبحت بعد ذلك جزءًا لا يتجزَّأ من التسوية العامَّة التي تمَّت بين روسيا وفرنسا وبريطانيا، والتي يُشار إليها عادةً باسم اتِّفاقيَّة سايكس- بيكو[١].

من جانب آخر، كانت الحرب في العراق ما زالت مستمرَّة، ولم يحاول العثمانيُّون استثمار الهزيمة البريطانيَّة في الكوت؛ ومحاولة التقدُّم إلى جنوب العراق وإعادة احتلاله، وطرد البريطانيِّين منه، وإنَّما أرسلوا قوَّاتهم إلى إيران لمحاربة القوَّات الروسيَّة، ممَّا أضعف القوَّات العثمانيَّة الموجودة في العراق، ومكَّن البريطانيِّين من تعزيز قوَّاتهم من جديد، ولاسيما بعد تولِّي الجنرال ستانلي مود (Stanley Mood) قيادة هذه القوَّات، التي بدأت باستئناف الهجوم ضدَّ العثمانيِّين منذ أوائل عام ١٩١٧، ودارت معارك هائلة بين الجانبَين، تضعضع فيها مركز العثمانيِّين الذين اضطرُّوا إلى الانسحاب من الكوت إلى المدائن يوم ٢٧ شباط، وتحصَّنوا فيها، لكنَّ البريطانيِّين استمرُّوا في تقدُّمهم نحو المدائن، ممَّا دفع العثمانيِّين إلى الانسحاب نحو نهر ديالى في ٦ آذار، ثمَّ انسحبوا من بغداد، فدخلها البريطانيُّون بقيادة الجنرال ستانلي مود، فجر يوم ١١ آذار ١٩١٧، وقد أصدر الجنرال مود تصريحه الشهير إلى أهالي بغداد، (يعدُّ هذا التصريح من أشهر

(١) عبد الرزاق الحسنيّ، العراق في دَوْرَي الاحتلال والانتداب، الجزء الأوَّل، مطبعة العرفان، صيدا، ١٩٣٥، ص٦٢.

أكاذيب البريطانيِّين في العراق): «إنَّنا لم ندخل بلادكم أعداء فاتحين، إنَّما دخلناها محرِّرين»[1].

كان لاحتلال البريطانيِّين بغداد من قِبَل البريطانيين آثاره السياسيَّة والعسكريَّة والنفسيَّة على الوجود العثمانيّ في مناطق العراق الأخرى، وقد واصل البريطانيُّون تقدُّمهم في شمال العراق، فاحتلُّوا سامرَّاء في ٢٢ نيسان، والرمادي في ٢٩ أيلول، وتكريت في ٦ تشرين الثاني ١٩١٧، وبقي الجيش البريطانيّ عند الفتحة جنوب الشرقاط حتَّى أواخر تشرين الأوَّل ١٩١٨، وكان على بُعد ١٢ ميلًا من القوَّات العثمانيَّة في مدينة الموصل عند عقد الهدنة في ٢٠ تشرين الأوَّل ١٩١٨، وكانت الموصل بموجب اتِّفاقيَّة سايكس- بيكو[2]، قد وُضِعت ضمن النفوذ الفرنسيّ، على حين وُضِعت بغداد والبصرة ضمن النفوذ البريطانيّ، غير أنَّ بريطانيا ظلَّت مصمِّمة على نقل الموصل إلى سيادتها، فطلب قائد القوَّات البريطانيَّة الجنرال مارشال، وكان قد تولَّى قيادة هذه القوَّات بعد موت الجنرال مود بمرض الكوليرا، في ١٩ تشرين الثاني ١٩١٧، من عليّ إحسان باشا قائد القوَّات العثمانيَّة في المدينة مغادرتها، وجرت مفاوضات بين الجانبَين، وافق فيها العثمانيُّون على الجلاء عن المدينة، ورُفع العلم البريطانيّ عليها في ٢٨ تشرين الثاني ١٩١٨، ولـمَّا كان من الممكن أن يشكِّل احتلال الموصل معارضة فرنسا، فقد سُوِّيَ الأمر بأن تأخذ فرنسا حصَّة من النفط مقابل الموصل.

وهكذا انتهت الأعمال العسكريَّة بعد ان امتدَّت زهاء أربع سنوات، وخضع

(١) عبد الرحمن البزَّاز، المصدر السابق، ص١٨.

(٢) الاتِّفاقيَّة التي جزَّأت البلاد العربيَّة، والتي عُقِدت إبَّان الحرب العالميَّة الأولى، بين خبيران هما مارك سايكس البريطانيّ ذو الباع الطويل في شؤون المشرق من خلال رحلاته وكتاباته، وبين جورج بيكو قنصل فرنسا العام في بيروت. ينظر: عبد الرزاق الحسنيّ، تاريخ العراق السياسيّ، ج١، بغداد، ١٩٨٩، ص٧٩.

العراق للإدارة البريطانيَّة، وقد كلَّف احتلال العراق البريطانيِّين خسائر فادحة، قدَّرتها المصادر البريطانيَّة بحوالي مئة ألف قتيل وجريح، فضلًا عن الخسائر الماديَّة الهائلة، لهذا يمكن القول إنَّ العراق كان من الجبهات الساخنة عسكريًّا، والتي استنزفت العدد الكبير من الرجال، والمال الوفير[١].

(١) عبد الرزاق الحسني، العراق في دوري الاحتلال والانتداب، المصدر نفسه، ص٦٣.

المبحث الثاني

علماء الحلة والاحتلال البريطانيّ ١٩١٤

حاولت الحكومة العثمانيَّة استعادة سيطرتها على الحِلَّة، فأوعزت إلى عاكف بيك «بالتقدُّم إلى الحِلَّة على رأس قوَّة من بغداد في ٦ تشرين الثاني ١٩١٦، وعسكر في سدَّة الهنديَّة، وفي ١٤ تشرين الثاني ١٩١٦ قدَّم طلبًا إلى أهالي الحِلَّة بالدخول في المدينة؛ لغرض التزوُّد بالمؤن، والخروج في حملة إلى المناطق الجنوبيَّة من العراق[١].

دار اجتماع بين أهالي الحِلَّة في دار السيِّد محمَّد القزوينيّ حول طلب عاكف بيك، فاختلف الحاضرون في الموافقة على الطلب، فمنهم رفض الطلب، وأوضح أنَّه في حال إصرار عاكف بيك، فإنَّ باستطاعة أهل الحِلَّة والعشائر المحيطة بها المقاومة، وإجباره على الرجوع من حيث أتى، أو تغيير مساره بعيدًا عن الحِلَّة[٢]، أمَّا الرأي الآخر، فوجد التفاوض والسماح له بالدخول هو أفضل؛ لتجنيب المدينة أي مواجهة عسكريَّة مع القوَّات العثمانيَّة، ويبدو أنَّ أصحاب الرأي الثاني فرضوا رأيهم على الآخرين، الأمر الذي أثار أصحاب المقاومة، فقرَّر العديد منهم ترك المدينة والذهاب بعيدًا؛ لمعرفتهم بمكر وخديعة العثمانيِّين المتكرِّرة، أطبق عاكف بك الحصار على المدينة، وطلب من

(١) عليّ الورديّ، لمحات اجتماعيَّة من تاريخ العراق الحديث، الجزء الرابع، دار الراشد، ط٢، بيروت، ٢٠٠٥، ص١٧٧-١٩٣.

(٢) محمَّد مهدي البصير، تاريخ القضيَّة العراقيَّة، ج١، مطبعة الفلاح، د.ت، ص٤٠.

الأهـالي الخـروج إلى جهة السـور الغربيّ بالقرب من مشـهد الشـمس، في اليـوم التالي طلـب من المختارين والوجهاء تسـليم جميع الفارِّين من الجنديَّـة خلال أربع وعشرين ساعة، وعندما رُفِض طلبه قام بمهاجمة المدينة، والاعتداء على محلَّات الجامعين والطاق وجبران والورديَّة، فتصدَّى له الأهالي مدعومين بعشـائر اليسـار وخفاجة والفتلة، ولم يسـتطع تحقيـق أيٍّ من أهدافـه، وعُرِفت هذه المواجهـات في المصـادر التاريخيَّة بواقعة عاكف الأولى[1].

ومـن الجديـر بالذِّكر أنَّ تراجـع القوَّات التركيَّة، وخسـائرها في المعـارك الدائرة، وانسـحاب قوَّاتها، ونجاحات البريطانيِّين في الحرب الدائرة جنوب العراق، قد ولَّدت حالـة مـن الارتباك للحكومـة التركيَّة، أحسَّـها النـاس ضعفًـا في الإدارات الحكوميَّة المحليَّـة، أي في مدنهـم، ولاسـيما بعد أن تقلَّص عدد الجنود المسـاند لتلـك الإدارات، ومـا حصل مـن انتفاضـة وثـورة في النجـف وكربـلاء، يبيِّن ذلـك بوضـوح، فثورة النجـف ظهرت بوادرها في آذار ١٩١٥، وتكلَّلت بعد أشـهر من القتال إلى استسـلام جنـود الحكومة، وطـرد القائممقام والموظَّفين وتسـفيرهم، إلى أن عادوا بعد فترة، عبر وسـاطات واتِّفاقـات مع أهـل النجف، لا تخلو مـن تنازلات مهينـة تجرَّعتها الحكومة التركيَّة مرغمة، أمَّا انتفاضة كربلاء، فقد بدأت مساء يوم ٢٧ حزيران ١٩١٥، بمهاجمة دار الحكومة وبسائر الدوائر الرسميَّة، واستسلم الجنود أيضًا بعد قتال غير مضني لأهل كربلاء، وأُعيدت الأمور إلى مجاريها، كما حصل في النجف، عبر الوسـاطات والمصالحة بعودة المتصرِّف في ٢٦ أيلول ١٩١٥، وهي بلا شـك حلـول تعبِّر عن تنازلات قدَّمتها الحكومة، لم تكن معهودة سابقًا في تعاملها مع العراقيِّين، فسياسة روح التعالي والتسلُّط

(١) عطيـة دخيل الطائيّ، الحِلَّة في سـنة ١٩١٤-١٩٢١ دراسـة في الأحوال الساسـيَّة والإداريَّة، ص٧٢-٧٩.

كانت طاغية على كلِّ الإدارات التركيَّة التي تعاقبت على الحكم في العراق بكلِّ ولاياته[1].

لم يكن خافيًا على أحد ما لأهل مدينة الحِلَّة من ارتباطات واسعة مع تلك المدينتَين المقدَّستَين النجف وكربلاء، وأنَّ التذمُّر الذي استحال إلى انتفاضة وثورة فيهما، لا بدَّ أن يلقى استجابة فيها، ليمتدَّ ويتَّسع إلى أرجائها، وهذا ما جعل الحكومة التركيَّة تسارع إلى إرسال القائد التركي عاكف بيك إلى الحِلَّة مع قوَّاته، وحين دخلها أخذ يستدعي المختارين والرؤساء والتنفيذيِّين، طالبًا معاضدة الحكومة التركيَّة بتسليم الفارِّين، وقد استخدم معهم سياسة الترهيب والترغيب، فقد كان يأمل منهم أن يسلِّموا جميع الفارِّين من الجنديَّة، والهاربين من ساحات القتال، وهو أمر لم يعد باستطاعة أحد تحقيقه، ولا حتَّى النخبة التي كانت قريبة من الحكومة، وتراعي مصالحها، ولاسيما بعد أن زاد تعاطف الأهالي مع الفارِّين؛ لكثرة عددهم، واقتناعهم بسوء المعاملة التي يتعرَّضون لها، ومن دون شكٍّ فإن التجارب السابقة قد ولَّدت شعورًا يفضي إلى أن مَنْ يلتحق بالجنديَّة يصبح في عداد المفقودين، ونادرًا ما يعود الملتحقون أحياء، ممَّا يجعل عوائلهم أصلًا تسعى لعدم إرسالهم[2].

وبعد مرور عام، اقترب الجيش التركيّ من مدينة الحِلَّة مرَّة ثانية، نادى المنادون في الأسواق والمحلَّات العامَّة يدعون أهل الحِلَّة بالخروج لاستقباله، وكانت هذه طريقة الإعلان السائدة آنذاك، ويزداد عدد المنادون عند الطوارئ أو في حالة الاستعجال، والتقى موكب أهل الحِلَّة يتقدَّمهم كبارهم من علماء الدين والوجهاء والمتنفِّذين،

(١) أحمد الناجي، من أوراق الاحتلال البريطانيّ للعراق (إضاءات على دگة عاكف في مدينة الحِلَّة)، الجزء الأوَّل، الحوار المتمدِّن، العدد ١٠٠٥، تشرين الثاني ٢٠٠٤، ص٩-١٦.
(٢) أحمد الناجي، المصدر نفسه، ص١٠-٢٠.

بعاكف بيك وجيشه في مشهد الشمس، وفي رواية لأحد المسنِّين سمعتها قبل سنوات، كان على رأس موكب الاستقبال السيِّد محمَّد عليّ القزوينيّ، ورفعت الجادرجيّ، وعبد السلام الحافظ، ورؤوف الأمين، تكلَّم السيِّد محمَّد القزوينيّ مع القائد عاكف بيك، يُبدي اعتذاره نيابةً عن أهل الحِلَّة عمَّا بدر منهم فيما فات، فلم ينطق القائد عاكف بك بشيء، فبهت الناس وأخذوا يشعرون بالخطر الذي أحاق بهم، ولاسيما بعد أن أحسُّوا بأنَّ الجنود يحيطون بهم من كلِّ جانب، ويمنعوهم من العودة إلى بيوتهم، ثمَّ صاروا يلقون القبض على وجهاء القوم، وهم معدودون؛ لأنَّ أغلب من حضر ذلك الاجتماع الشيوخ وكبار السنِّ والأطفال، وفهموا من تلك الإجراءات بأنَّهم صاروا رهائن تحت رحمة هذا القائد الذي أذلُّوه قبل ما يزيد على السنة، وجاء اليوم يقتصّ منهم طالبًا للثأر، وحين تساءل البعض من هؤلاء عن سبب ذلك، أجابهم عاكف بيك بما معناه، إنَّ أهل الحِلَّة قوم متمرِّدون على الحكومة، وقد عرفوا قبل اليوم بأنَّهم عصاة حفاة، وإنَّنا نريد الدخول إلى المدينة وضبطها، وتخريب ملاجئ الأشقياء، وقد أبقيتكم ودائع عندي حتَّى ندرك ما نريد، فإنَّ تعرَّض المفسدون للجنود، فما يجري عليهم يجري عليكم بكلِّ شدَّة. وكان يومًا مشهودًا، وقد جزم كلُّ من حضر ذلك الاجتماع أنَّ عاكفًا سيبيدهم عن بكرة أبيهم؛ لأنَّهم شاهدوا الجنود صوَّبوا بنادقهم ومدافعهم نحوهم ينتظرون الإشارة لرمي الأهلين المجتمِعين، ولكن لم يقع هذا لسبب لم يعرفه الجميع[1].

خطب عاكف بيك يذكِّرهم بالحوادث التي وقعت قبل سنة، ويبلِّغهم بأنَّه تلقَّى أمرًا من القائد العام في العراق، الوالي خليل باشا، بمحو مدينة الحِلَّة من الوجود، وأنَّ أهل الحِلَّة كلُّهم يستحقُّون العقوبة، ولكن (مرحمة) وردت من الحكومة للعفو

(١) عبد الرحمن البزَّاز، المصدر السابق، ص٢٠ ومابعدها.

عنهم، وسوف لا ينال العقوبة إلَّا المذنبون فقط، فرفع الناس أيديهم يلهجون بالدعاء للحكومة، وسُمِح لهم بالعودة إلى بيوتهم، وكان عاكف بيك قد أرسل فوجًا من جنوده لاحتلال مدينة الحِلَّة بصحبة مختاري المحلَّات، فاحتلوا الثكنة والمخافر ودور الحكومة وجميع المواضع العالية التي تُشرف على المدينة، وضرب الجند طوقًا على مدينة الحِلَّة ما عدا باب النجف ظلَّت مفتوحة، ربَّما لتسهيل عمليَّة هروب المحاربين من أهل الحِلَّة؛ ليتسنَّى لعاكف بيك الاستيلاء عليها بدون قتال، وقد نجحت خطَّته هذه بعد أن خرج كثير من أهل الحِلَّة، وبضمنهم الشباب الذين يعوَّل عليهم في القتال، وبقي القليل من الشيوخ والعجائز والأطفال[1].

وفي اليوم التالي ١٦ تشرين الثاني ١٩١٦، نادى المنادي في شوارع الحِلَّة وأزقتها أن لا يخرج أحد من داره ابتدءًا من عصر هذا اليوم؛ لأن المدافع ستصبُّ قنابلها على ثلاث محلَّات، هي الجامعين والطاق وجبران، فانتقل مَن بها من ناس إلى المحلَّات الأخرى، ونصب الجند مدافعهم على تل الرماد (الجبل حاليًّا، حديقة الجنائن المعلَّقة)، وأخذت تُطلق قنابلها نحو ساعتين، وبعدها أرسل عاكف بيك سريَّة من الجنود يحملون المعاول والمجارف والقنابل اليدويَّة، استباحوا المدينة وأشاعوا الفوضى فيها، بعد أن فعلوا فيها الأفاعيل من الحرق والهدم والنهب والسلب والقتل.

استمر تدمير الدور حتَّى يوم ١٩ تشرين ١٩١٦م، حيث خرَّب أربعة محلَّات بعد أن شمل محلَّة الورديَّة في الجانب الصغير، بالإضافة للمحلَّات الثلاث التي توعَّد بقصفها، أمَّا محلَّة المهديَّة فلم يتعرَّض لها بسوء؛ رعايةً لأحد زعمائها عبد الكريم الشبيب، وإن كان فيها أناس قاوموا الحكومة التركيَّة وحاربوها، ربَّما هذا الموقف ناجم

(١) شكري محمود نديم، حرب العراق ١٩١٤-١٩١٨، بغداد، ١٩٧٤، ص٤٠.

عن عمق أواصر العلاقة بينهما، أو لموقفٍ ما، في الأحداث السابقة لم ينساه عاكف بيك هذه المرَّة[١].

وكان لدى عاكف بيك قائمة بأسماء عدد كبير من أهل الحِلَّة ممَّن يريد محاسبتهم على أفعالهم التي ارتكبوها في المرَّة السابقة، أو ضدَّ الحكومة التركيَّة بشكلٍ عام، ولا شكَّ أن في إعداد هذه القوائم تواطئ عملاء عاكف بيك من داخل المدينة لهم مصالح وارتباطات ساعدت في تهيئتها، ربَّما من موظَّفي الحكومة أو غيرهم، فأمر بإلقاء القبض على المطلوبين، وأرسل مفارز عديدة من عسكره إلى القرى المجاورة للبحث عن الهاربين منهم، ثمَّ شكل محكمة عسكريَّة لمحاكمتهم، فحكمت المحكمة بشنق ١٢٧ رجلًا، ونفي ٢٣١ آخرين، وكانت عمليَّات الشنق تجري على دفعات يومًا بعد يوم، ويُقال إنَّ عاكف بيك أراد أن يشنق العدد نفسه الذي قُتِل من جنوده في العام الماضي، حتَّى إنَّه شنق شخصًا كان أخرس وأطرش وأعمى إكمالًا للعدد، ومن الذين شنقهم عاكف بيك، الحاج عليّ الشيخ حسن الذي كان قد تشاجر مع القائممقام وأمر أتباعه بطرده، وأخواه وهيب الشيخ حسن، ومحمَّد سعيد الشيخ حسن[٢].

أخذ عاكف يسوق رجالات المدينة إلى المشانق، وزاد عدد شهداء الحِلَّة على ١٥٠٠، ولم يكتفِ بذلك، بل قام بنفي العديد من أهالي الحِلَّة إلى ديار بكر، وسمَّيت هذه الأحداث بواقعة عاكف الثانية، وبقيت المدينة تعاني من ظروف عصيبة حتَّى خروج القوَّات العثمانيَّة[٣].

(١) شكري محمود نديم، المصدر السابق، ص٤٥.
(٢) فاروق صالح العمر، حول السياسة البرطانيَّة في العراق ١٩١٤-١٩٢١، بغداد، ١٩٧٣، ص٢٣-٢٥.
(٣) امل فينوغرادوف، قراءة جديدة في ثورة ١٩٢٠ العراقيَّة، ترجمة: عبد الجبار ناجي، مجلَّة الحكمة، العدد ٣٧، آب ٢٠٠٤، ص١١١.

دخلت القوَّات البريطانيَّة مدينة الحِلَّة في ٨ تشرين الثاني ١٩١٧، وقد عيَّنت الحكومة المحتلَّة (الميجر بولي) حاكمًا سياسيًّا على الحِلَّة، وأصبحت الحِلَّة مركزًا عسكريًّا مهمًّا في الفرات الأوسط[١]، كذلك قامت الإدارة البريطانيَّة بتشكيل مجلس قبَلي لحل المشاكل العشائريَّة، وقد ضمَّ عدد من الشيوخ البارزين، وساهم بتقليل عمليَّات السلب والقتل، وتبنَّى عمليَّة جمع الضرائب، وحشد الفلَّاحين للعمل في مختلف المشاريع، وقامت الإدارة البريطانيَّة بتخصيص مكافأة مجزية لأعضاء المجلس، بلغت قيمتها (٣٠٠) روبيَّة شهريًّا، وشملت كلٌّ من الشيوخ عدَّاي الجريان، وهزَّاع آل محيميد، وسماوي الجلُّوب، وفيصل آل مغير، وسلمان آل كعيد، ورشيد آل عنيزان[٢].

وكذلك قامت القوَّات البريطانيَّة بتشكيل قوَّة من الشبانة في مدينة الحِلَّة، تكوَّنت من صنفَين، المجنَّدين المشاة، وبلغ عددهم في البداية ٢٨٠ مجنَّدًا بقيادة خمسة من الضبَّاط البريطانيِّين، أمَّا الصنف الثاني، فهم المجنَّدون الخيَّالة، وعددهم ٤٧٧ مجنَّدًا تحت إمرة خمسة من الضبَّاط البريطانيِّين، وانخرط العديد من أبناء وأقرباء الشيوخ كعبد المحسن السعدون من شيوخ بني حسن في الهنديَّة، الذي تولَّى قيادة الشبانة في المنطقة، وتكفَّلت هذه القوَّة بواجبات الحراسة في الحِلَّة والمسيَّب وطريق حِلَّة- كربلاء، والحِلَّة- ديوانيَّة[٣].

ولا بدَّ من القول إنَّه حتَّى في المناطق التي خرجت مضابطها مؤيِّدة لسياسة الحكم المباشر في العراق، كان هناك الكثير من الرافضين لهذه السياسة، ولاسيما إذا ما علمنا أنَّ الطريقة التي أُجريت فيها عمليَّة الاستفتاء كانت صوريَّة أكثر منها واقعيَّة، وقد

(١) امل فينوغرادوف، المصدر السابق، ص١٤٥.
(٢) المصدر نفسه، ص١٥٠.
(٣) جميل موسى النجَّار، السيِّد كاطع العوَّاديّ ودوره في الحياة السياسة العراقيَّة ١٩٠٨-١٩٤٥، بغداد، المكتبة العصريَّة، ٢٠٠٥، ص٦٦-٦٧.

تدخَّلت الحكومة البريطانيَّة بصورة مباشرة في العديد من المناطق، كما حصل في مدينة الحِلَّة، إذ طلبت من الحاكم السياسيّ فيها حصر عمليَّة الاستفتاء في عدد من الموالين لهم، لم يتجاوز عددهم السبعة، والذي يمكن الاستدلال به على مدى الرَّفض الجماهيريّ لعمليَّة الاستفتاء، لم يحقِّق الاستفتاء رغبة ويلسون في طريقة حكم العراق، الأمر الذي أدَّى إلى اتِّباع سياسة الشدَّة مع مناطق الفرات الأوسط، إذ قام بتغيير أغلب الضبَّاط المسؤولين عن تلك المناطق، الأمر الثاني الذي يمكن الاستدلال به على فشل السياسة البريطانيَّة، الرفض الواسع لقرار الانتداب الذي صدر عن مؤتمر سان ريمو بتاريخ ٢٥ نيسان ١٩٢٠، إذ زاد نشاط الحركة الوطنيَّة في مختلف مدن العراق، وكذلك نشاط الحركة الدينيَّة من خلال ممثِّلي المرجعيَّات، وخير مثال على ذلك، التحرُّك الذي قام به السيِّد كاطع العوَّاديّ، أحد قادة ثورة ١٩٢٠، باتِّجاه عشائر الحِلَّة ووجهائها، والذي تمخَّض عنه الاجتماع الجماهيريّ في جامع الحِلَّة الكبير، إذ ندَّد فيه الحاضرون بالسياسة البريطانيَّة، وكانت نتيجته نفي عدد من الوطنيِّين إلى خارج العراق، الأمر الذي زاد في نقمة الجماهير على الاحتلال البريطانيّ[1].

(١) جميل موسى النجَّار، المصدر السابق، ص٦٦-٦٧.

المبحث الثالث

الحِلَّة وثورة العشرين

كانت الأسباب الرئيسة التي أسهمت في اتِّساع المقاومة الشعبيَّة العراقيَّة وتطوُّرها في ربيع ١٩٢٠، هي الافتضاح المستمر لمراوغة الإدارة البريطانيَّة، ومماطلتهم في تنفيذ الوعود والتعهُّدات التي أطلقوها غداة احتلالهم العراق سنة ١٩١٧، ولقد كان واضحًا أنَّ البريطانيِّين لا يريدون الاستجابة لمطالب الشعب العراقيّ في الحريَّة والاستقلال، وأنَّهم يحاولون فرض سلطتهم السياسيَّة والعسكريَّة على العراق، من خلال مشروع الانتداب، وكذلك نقمة الأهالي الشديدة، لاسيما سكَّان مدن وعشائر الفرات الأوسط؛ جرَّاء سياسة القمع والإرهاب التي كان يمارسها الحكَّام السياسيُّون ضدهم، فضلًا عن الأضرار الناجمة عن الإجراءات الإداريَّة والاقتصاديَّة التي كانت تتَّخذها إدارة الاحتلال[١]، أمَّا السبب المهمُّ الآخر، فهو دور العلماء في توسيع نطاق المقاومة وتوجيهها في توعية وتعبئة وتحريض الأهالي، وتوضيح النوايا العدوانيَّة للتواجد البريطانيّ في العراق، ولعلَّ ما ورد على لسان الثوَّار من أهازيج دليل على دور المرجعيَّة الدينيَّة، ومنها (حل فرض الخامس كومولة)، أي قد دعا واجب الجهاد، فقوموا له[٢].

(١) عبد الرزاق الحسنيّ، الثورة العراقيَّة الكبرى، الطبعة الثالثة، مؤسَّسة المحبِّين، إيران، قم، ١٩٧١، ص١٨٠-١٨٣.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٠٠-٢٠١.

بعـد الانتصارات التي حقَّقتها العشـائر في منطقتي عفك والدغَّـارة ضدَّ القوَّات البريطانيَّـة، أثناء الثورة، أبرق قائد القوَّات البريطانيَّـة في العراق الجنرال (هالدين) إلى قائد حامية الديوانيَّة الجنرال (ديلي)، يأمره بالانسحاب إلى مدينة الحِلَّة بواسطة القطار، وقد جمعوا قوَّاتهم وكلَّ ما لديهم من سلاح وطعام في قطار واحد، بلغ طوله ميلًا، وتحرَّك القطار من محطَّة الديوانيَّة في الساعة السادسة والنصف من صباح يوم ٣٠ تموز من عام ١٩٢٠، وما أن وصل الخبر للثوَّار بأنَّ الميجر ديلي وجيشه سيتوجَّهون بالقطار إلى الحِلَّة، تاركين مدينة الديوانية، حتَّى جمعوا قوَّاتهم وهجموا على القطار، فحدثت معركة تجلَّت فيهـا الـروح الوطنيَّة لأهالي الحِلَّة، فتوقَّـف القطار عن متابعة سـيره، وهنا أخذ ضبَّاط الجيش يُظهرون للثوَّار بعض السـجناء، وهم جبل العطيَّة، وموجد الشعلان، والشيخ صكبان أبو جاسم؛ لأجل أن يتوقَّف الثوار عن إطلاق النار عليهم[١].

وفي الليـل تجمَّع عدد من الثـوَّار، واتَّفقوا على قلع السـكَّة الحديديَّة؛ لكي يتوقَّف القطار عن السير، وقد قُلعت السكَّة من محطَّة الجدول حتَّى محطَّة قوجان، وفي أثناء فترة التصليح هاجمت العشـائر القوَّات البريطانيَّة، فنشـبت جرَّاء ذلـك معارك دامية ما بين الفريقَـين في خان الجدول (ناحية السـنيَّة)، فعمد البريطانيُّـون إلى إحراق بعض القرى التـي تقـع بالقرب من قضبان سـكَّة الحديد، تحت ذريعة تعاون سـكَّان هذه القرى مع الثوَّار[٢].

ومن أجل ضمِّ بعض العشـائر المتردِّدة وإقناعها في الاشـتراك بالثورة، ذهب وفد من شـيوخ العشـائر المهاجمة على القطار برئاسـة شـعلان العطيَّة شيخ عشـائر الأكرع،

(١) عطيَّـة دخيـل الطائـي، الحِلَّـة في سـنة ١٩١٤-١٩٢١ (دراسـة في الأحـوال الساسـيَّة والإداريَّـة)، أطروحـة دكتـوراه غـير منشـورة، كليَّـة التربية/ ابـن رشـد، جامعـة بغـداد، ص٨٧.

(٢) المصدر نفسه، ص٨٨.

والتقى بشيوخ عشيرة البوسلطان في الشوملي شخير وحنتوش، أبناء الهيمص، وكانت استجابتهم عالية للقتال بجانب الثوَّار، إذ توجَّه قسم من عشائرهم إلى ساحة القتال، ثمَّ ذهب الوفد إلى دليمي البرَّاك رئيس البو مساعد، فانظمَّ إلى الثورة ايضًا، وواصل الوفد جهوده، وعند الصباح سار القطار ببطء، وكان المسؤول عن إصلاح السكَّة (الكولونيل مكفلن)، وكان قسم من الجيش يضع قضبان الحديد على الأرض لتسيير القطار، إذ إنَّ بعض القضبان الحديدية كانت محمَّلة معهم بالقطار احتياطًا لهذه الأمور، أمَّا القسم الآخر من الجيش فقد أخذ بالدفاع، ولم يقطع القطار مسافة تُذكَر طيلة ذلك اليوم سوى المسافة من الجدول إلى الأبيخر، وهي مسافة قليلة جدًّا[1].

وعند وصول القطار إلى قرية (الدولاب) غرب الجربوعيَّة، حدثت معركة رهيبة اشتركت فيها عشائر الجبور، وقسِّمت إلى شطرَين، القسم الأوَّل بقي مقابل الجربوعيَّة، والآخر مقابل الحِلَّة، وقد استعمل الإنكليز في هذه المعركة مختلف أنواع الأسلحة، من مدافع وطائرات، وقد أخذت ترمي بقنابلها على الثوَّار، إضافة إلى ذلك، فقد عزَّزوا جيشهم بالقوَّة التي كانت مرابطة على الحدود الإيرانيَّة، وجلبوها إلى الحِلَّة؛ لإنقاذ ومساعدة الجيش المحاصر، وعندما ورد خبر يفيد أن قسمًا من الجيش البريطانيّ سيتوجَّه من الحِلَّة إلى الجربوعيَّة لفكِّ الحصار وتسيير القطار، نصب الثوَّار كمينًا له في الليل عند نهر قديم يسمَّى (أبو حسَّان) يقع بين الدولاب والجربوعيَّة، موازيًا للسكَّة الحديديَّة، ورُتِّبت مفارز في القسم الغربيّ للنهر لمراقبة الجيش عند قدومه من الحِلَّة، وعند الفجر اقترب الجيش من الثوَّار الذين خرجوا وتقابلوا معه من كلِّ جانب وصوب، فكانت معركة حامية، استعملت القوَّات البريطانيَّة فيها مختلف الأسلحة، الخفيفة والثقيلة،

(١) يونس عبَّاس نعمة، عشائر مدينة الحِلَّة بين سياسة التفرقة العثمانيَّة وسياسة الاحتواء البريطانيَّة (١٨٦٩-١٩٢٠)، مجلَّة كليَّة التربية الأساسيَّة، جامعة بابل، العدد ١، آذار ٢٠٠٩.

وأخذت الطائرات تقصف مواقع الثوَّار[١]، وقد استمرَّت المعركة من الفجر حتَّى الظهر، وعند ذلك اندفع الجيش إلى قصبة المدحتيَّة فأحرقها وأحرق ضريح سيِّدنا الحمزة الغربيّ عليه السلام، وكان اندفاع الجيش إلى هناك يهدف إلى قطع التموين عن الثوَّار، إذ كانت الأرزاق تأتي بواسطة السفن في شطِّ الدغَّارة، وفي خطَّة ذكيَّة انسحب الثوَّار إلى شرق المدحتيَّة، في مكان يسمَّى (شاطي حطَّاب)، ومن هناك أخذت تصل الأرزاق للثوَّار، ونتيجة لضربات الثوَّار خرج الجيش منكسرًا، وعلى العموم تجمَّعت أعداد كبيرة من الثوَّار، وواصلت مهاجمة القطار الذي وصل إلى الجربوعيَّة (الهاشميَّة حاليًّا)، وبقي محاصرًا هناك عشرة أيَّام[٢].

وفي هذه الأثناء انضمَّت عشيرة الجبور برئاسة مراد الخليل إلى الثوَّار، وحدثت معركة عنيفة ذهب ضحيَّتها عدد كبير من الثوَّار، وكان أكثر الشهداء من عشيرة الأكرع، إذ أستشهد منهم ما يقارب مئتي ثائر، فضلًا عن أعداد من الجرحى زاد عددهم على ثلاثمائة شخص، وهذا الرقم يدلُّ على شدَّة بأس العشيرة، وإيمانها بالقضيَّة التي تقاتل من أجلها[٣].

وبعد وصول القطار إلى الحِلَّة، انتهت صفحة معركة القطار التي استمرَّت أحد عشر يومًا، سجَّل فيها الثوَّار أروع معاني البطولة والشهادة، ولقَّن فيها المحتل درسًا لن ينسوه على مرِّ الزمان.

ولا بدَّ من الاشارة إلى دعوة العلماء إلى الحريَّة والاستقلال، ومن بينها رسالة العلَّامة الشيرازيّ إلى الحاكم السياسيّ في الحِلَّة (الميجر بولي)، والقبض على وجوه

(١) عبد الرزاق الحسنيّ، الثورة العراقية الكبرى، المصدر السابق، ص٢٣٧.
(٢) المصدر نفسه، ص٢٥٠-٢٥١.
(٣) عليّ هادي المهداويّ، الحِلَّة في العهد العثمانيّ المتأخِّر ١٨٦٩-١٩١٤، ص١٢٧-١٢٨.

الثـورة ونفيهم إلى هنجام، وكان مـن جملة المنفيِّين الميرزا محمَّد رضـا نجل الإمام محمَّد تقي الشـيرازيّ، الذي أصدر فتواه الشهيرة التي انتفض جراؤها العراق بأجمعه «مطالبة الحقـوق واجبة على العراقيِّين، ويجب عليهم في ضمن مطالبتهم رعاية السـلم والأمن، ويجوز لهم التوسُّل بالقوَّة الدفاعيَّة إذا امتنع الإنكليز عن قبول مطالبهم»[1].

في اجتماع حضره الشـيخ عبد الكريم الجزائريّ، والشـيخ الجواهريّ، والشيخ عبد الرضا، ومعهم الحاج محسـن شـلاش، طلب الحاكم العسكريّ في النجف الأشرف من العلماء الكبار أن يكتبوا للإمام الشـيرازيّ رسـالة مواساة، لنفي نجله الميرزا محمَّد رضا الشـيرازيّ، فقاطعه الشـيخ عبد الكريم الجزائري، وقال: أي ولدٍ يعنيه حضرة الحاكم من أولاد الميرزا الإمام الشـيرازيّ؟ «أهو حاج مخيـف أم أولاده أحرار الحلَّة، أم أولاده رجـال كربـلاء، إذ إنَّه لم يبلغ هذه المنزلة التي هو عليهـا إلَّا لأنَّه ينظر إلى جميع العراقيِّين بصفتهم أولاده»[2].

وبعد صدور الفتوى، صار العراقيُّون أكثر إقدامًا وتحدِّيًا وارتباطًا بالعلماء، فاجتمع زعماء العشـائر في دار عبد الواحد سـكر بأمرٍ من سـماحة الإمام الشيرازيّ، والقيادة في كربـلاء، وقد ثبَّتـوا المطالب العراقيَّة كآخر وسـيلة لحقن الدماء، ومن ثمَّ سـلَّموها إلى الحاكم البريطانيّ (الميجر نوربري)، وقد التفَّ العلماء ومراجع التقليد حول قيادة الإمام الشيرازيّ من أجل طرد المُحتل، وعندما رُفِضَت هذه المطالب، استعدَّ الجميع للانتفاضة والثـورة، وفي يـوم الأحـد ٢٤ شـوَّال ١٣٣٨هـ، الموافـق ١١ تمـوز ١٩٢٠م تقدَّمت جيـوش العشـائر وواجهت قوَّات الإحتـلال وهي تزحف بين المناطـق والمحافظات،

(١) ل.ن.كوتلـوف، ثورة العشرين التحرريَّة الوطنيَّة في العـراق، ترجمة: عبد الواحد كرم، بغداد، ١٩٧١، ص١٧٥-١٧٨.

(٢) دور الحِلَّة في ثورة العشرين، مركز ترث الحِلَّة، ١٣/ ٦/ ٢٠١٦.

وقد تعدَّدت وقائع ثورة العشرين، ولكلٍّ واقعة حديث طويل، حيث الرميثة، والشاميَّة، وأبو صخير، والكوفة، والنجف الأشرف، والرارنجيَّة، وكربلاء، والحِلَّة، وبغداد[١].

اشتدَّ ضغط القوَّات البريطانيَّة على الأهلين، وبدت طلائع الثورة في الرميثة، فأُرسلت إليها النجدات العسكريَّة من الديوانيَّة، والسماوة، والحِلَّة، ولكنَّها لم تفلح في مهمَّتها، ولـمَّا اشتدَّ لهيب الثورة، حشد القائد البريطانيّ هولدي قوَّاته العسكريَّة في الحِلَّة، وأخذ الثوَّار يتقدَّمون للاستيلاء على الحِلَّة، ولـمَّا علم الحاكم السياسيّ بالحِلَّة ألحَّ على قائد حامية الحِلَّة (الكولونيل لوكن) بإرسال مفرزة من جنوده إلى الكفل بقيادة الكولونيل (هارد كاسل)، تقدَّم المجاهدون نحو الجيش البريطانيّ في الرستميَّة، فأحاطوا به، فانكسر الجيش الإنكليزيّ، ووصلت فلولهم إلى الحِلَّة، وغنم الثوَّار جميع معدَّاتهم، وأخذ الثوَّار بالتقدُّم، وعسكروا في قرية الطهمازيَّة، فحظرت الحكومة البريطانيَّة التجوال، وأقامت شبكة من الأسلاك الشائكة حولها، ولكن ذلك لم يمنع الثوَّار من القيام بهجمات متتالية، واحتلُّوا المخفر، فأرسلت الحكومة قوَّة من الهنود بقيادة الكولونيل (ابط)، فلجأ الثوَّار إلى المحال والدور، مثل محلَّة الجامعين[٢]، واحتال الأهالي لتهريب الثوَّار من الحِلَّة بشتَّى الوسائل، وعبروا بهم الجسر إلى الضفة الأخرى، وفي الصباح أذاع القائد العام بيانًا يطلب فيه من أهالي الجامعين مغادرة المحلَّة للتفتيش، واستعملت في ذلك البطش والقتل والقنابل، ويروي السيِّد هادي ناصر سعيد سلمان جوانب مهمَّة من بطولات شعبنا على لسان بطل من أبطال ثورة العشرين الشيخ المرحوم نجم العبُّود قائلًا: بعد معارك (أبو صخير) تحرَّكت قوَّات العشائر باتِّجاه الكفل،

(١) معركة بشنَّة، مركز تراث الحِلَّة، ١٣/ ٥/ ٢٠١٦.
(٢) ل.ن.كوتلوف، المصدر السابق، ص١٨٠.

وأخرى سلكت شرق نهر دجلة، لتلتقي بالقوَّات البريطانيَّة المعسكرة في منطقة (بنشَّه)، وكان التحـرُّك بإيعـاز وتخطيط من القيـادة العليا للثـورة، الهدف منه اشـغال القوَّات البريطانيَّة، ومنعهـا من التقدُّم نحو مدينة الكوفة، وحوض نهري الحِلَّة والهنديَّة، فضلًا عن إجبار القوَّات الغازية على التقهقر باتِّجاه بغداد، وإنزال أفدح الخسائر بها، من خلال شـنِّ حرب اسـتنزاف للقوَّات المتواجدة في منطقة (بنشَّة)، التي اصطدم فيها الثوار من أبناء العشائر مع القوَّات الغازية بمعركة رهيبة، استخدمت القوَّات البريطانيَّة عشرات الآلاف من رشاشاتها وبنادقها، فشكَّلت سقفًا كثيفًا من الرصاص فوق رؤوس الثوار، الذين تخندقوا في المنخفضات والخنادق[1].

رأى قائـد القوَّات المعسـكرة في الحِلَّة أن يوزِّع قوَّاته عـلى الجهات المختلفة خارج الحِلَّة، لتقوم بتفريق الثوَّار، فأرسـل بعضها عـلى طريق طويريج، والأخرى إلى الكفل، وبعضهـا شرقًا وشـمالًا، فتراجع الثـوَّار، والطائرات تقصفهم، وهـم يقاومونها طوال الطريق، فأجبروا بعضها على الهبوط، ويذكر الشيخ عبُّود الهيمص، وهو لم يبلغ السادسة عشرة من عمره، أنَّ من المشاركين في تلك المعركة سعود المخيف، وشقيقه عبدول الذي استشهد في أثناء تصدِّيه لطائرة الاحتلال، فتراجع الثوَّار إلى المدحتيَّة[2].

بعـد هذا الهجوم، انسـحب الثوَّار إلى قريـة الطهمازيَّة، وهنا قصفتهـم الطائرات، فاستشـهد منهم اثنان وعشرون مقاتلًا، فانتقلوا إلى نهر عوفي ناحية الكص، وكان قائد القوَّات البريطانيَّة يرسـل بين حين وآخر قوَّات خارج الحِلَّـة لتفريق الثوَّار المحاصرين للحِلَّـة، فكانـت ترجـع بالخيبـة والانكسـار، ومن القـوَّات التـي قادهـا (الكولونيل كوننكهام) التي أرسـلت إلى بنشَّـة، التي تبعد عن الحِلَّة (٥ كـم)، في ٧ أيلول ١٩٢٠،

(١) دور الحِلَّة في ثورة العشرين، المصدر السابق.
(٢) عبد الرزاق الحسنيّ، الثورة العراقيَّة الكبرى، المصدر السابق، ص٢٥١-٢٥٤.

وكان قوام هذه القوَّة ٣٠٠٠ جندي بكامل تجهيزاتها، مع ست طائرات حربيَّة، فلمَّا وصلت هذه القوَّة إلى بنشَّة، قابلتها عشائر الأكرع، وعفك، والسعيد، والبو عيسى من آلبو سلطان، فأخذت المدافع تطلق نيرانها، والطائرات تقصف، فهجم عليها الثوَّار فلم يبقَ للإنكليز إلَّا الفرار إلى الحِلَّة، وقد ساعدت هذه القوَّة زوارق بخاريَّة، مجهَّزة بالرشاشات التي أخذت تجوب شطَّ الحِلَّة وتضرب المجاهدين[١].

احتلَّت هذه القوَّات طويريج، فخفَّت وطأة الحصار على الحِلَّة، الذي دام أربعة أشهر، عانت فيها الحِلَّة من بطش القوَّات الإنكليزيَّة، والغلاء، وانتشار الأمراض، وإغلاق الأسواق، وتعطُّل الأعمال، ومنع التجوال.

لقد خسر الجيش البريطانيّ مئات القتلى والجرحى، على حين فقدَ الثوَّار أكثر من مئة شهيد، وقد أسهمت المرأة الحِلِّيَّة في أحداث المعركة، وحثِّ المقاتلين على الصمود والتضحية، ونسوق مثالًا على ذلك، الشاعرة الباسلة شزنة بنت حالوب، من عشيرة ألبو سلطان، وهي تصف شجاعة ولدها وبطولته التي أنزلت بالعدو خسائر فادحة بالأرواح في هذه الحادثة، إذ تقول[٢]:

الله يا دكة بنشَّه
يوم اولدي للجيش طشه
حالوب اهو للزرع حشه
مجرشة وللصوجر تجرشه
خلاها لشة فوك لشه
حوم او عالدنّة تعشه

(١) عبد الرزاق الحسنيّ، الثورة العراقيَّة الكبرى، المصدر السابق، ص٢٥٣-٢٥٦.
(٢) يوسف كركوش الحِلِّيّ، تاريخ الحِلَّة، النجف الأشرف، المطبعة الحيدريَّة، ١٩٦٥، ص١٣٣-١٣٤.

لـــو بـطـش كـلـه تـعـرف بطشه

يـــا ســـوجـــر اشـبـلـشـك بـلـشه

كـــمـــت اتحـــــارش بـــيـــه حـرشـة

واطـيـتـنـه اذنـــــك الـطـرشـه

والشـاعرة فطيمة من عشيرة الظوالم، حين سألت أخاها عن ابنها، فأجابها: لاجن هزيتـي ولوليتي، ففهمت قصده بأنَّ ابنها تـوفِّي، وضاع تعبها، فأجابته مفتخرة: هزيت ولوليـت لهـذا، أي ماولـدت ومارببـت إلَّا لهـذا الأمر، ومنهـنَّ غالية آل حسُّـون من عشـيرة آل إبراهيم، وكذلك سـومة من فخذ آل كيِّم من عشـيرة آل فتلـة، وكانت من أهل الهنديَّة، وسـكينة آل عسـل من عشـيرة آل إبراهيم، التي قُتِل أخوها عند هجومه عـلى جنود الاحتـلال في منطقة (المصلـخ)، الواقعة في مدخل مدينـة الحِلَّة، وعفتة من عشـيرة آل شـيبة، التي فقدت أحد أولادها في معركة (ونة) أو(صـدوم)، قرب منطقة (قوجـان) في الحِلَّة، وكعية سـلطان الخزعليّ التي كانت ترافـق المقاتلين في معركتهم في منطقة (الجبور)، بين قوجان والهاشميَّة، حيث قالت[1]:

آنـــة شـاهـدة الـشـاطـي أو سـلـمان

يـــوم الـنـخـاهـم صـــدك دوهـــان

فـــاتـــوا مـثـل فـــوتـــة الـعـكـبـان

اولاهـــابـــوا أمـــن الجـيـش جـيـمان

هذه الروايات التاريخيَّة يستذكرها أهالي الحِلَّة جيلًا بعد جيل؛ لما لها من وقع ثوريّ ووطنيّ أصيل، حينما انتصرت الفالة والمكوار والسلاح الخفيف على الأسلحة المتطوِّرة، وانتصر سلاح العقيدة والإيمان على جيوش الاحتلال.

(١) يوسف كركوش الحِلِّيّ، المصدر السابق، ص١٣٥.

الخاتمة

الحِلَّـة مدينة احتضنـت المـدارس الدينيَّة الكبرى، بـل تعدَّى الأمـر إلى أن تكون مقـرًا للمرجعيَّـة العراقيَّة في مرحلة ما. وقـد توجَّه لها ومنذ عهد العبَّاسـيِّين مئات من طلبـة العلوم المختلفـة، فكانت موطنًا للمثقَّفين والعلـماء، في وقت كانت المدن في عهد العثمانيِّين تلفُّها غيوم الظلام؛ نتيجة السـيطرة والقهر الفكريّ الذي مارسـه المحتلُّون، فهذا المناخ الصحِّيّ في الحِلَّة أنجب قادة رأي وفكر يمارسـون الكتابة والشـعر والتعبير عمَّا يجيش في صدورهم تجاه الوطن أيَّام الاحتلال العثمانيّ، ومن ثمَّ البريطانيّ.

لم تحقِّق الثورة العراقيَّة أهدافها العسـكريَّة، إلَّا أنَّها أسـهمت كثيرًا في تطوُّر الوعي الوطنـيّ والسـياسيّ والثوريّ في أوسـاط المجتمـع العراقيّ، وأظهـرت دلائل نضوج سـياسي في الفرات الأوسـط، لاسـيما عند بعـض كبار الشـيوخ في رفض جميـع أنواع السـلطة المفروضـة علية، والرغبـة في تجنُّب الضرائـب، فضلًا عن مطالبهم السياسـيَّة في تحقيـق الاسـتقلال وتقرير المصير، وإقامـة حكم وطنيّ في العـراق بديلًا عن الحكم البريطانيّ المباشر، وكانت لمنطقة الفرات الأوسـط بشـكل عام، والحِلَّة بشـكل خاص، أثـر في مواجهة الإدارة البريطانيَّة في العراق، بعد أن توسَّـعت شرارة الثورة العراقيَّة في عموم البلاد.

إنَّ ثـورة العشريـن هي ثمرة لنضال طويل خاضه الشـعب العراقـيّ نتيجة لتطوُّر المقاومـة الشـعبيَّة ضدَّ الاسـتعمار، ومن أجل الاعتراف للشـعب بحـقِّ المصير، بدأت الثـورة بحوادث لم تكن تتميَّـز في بدايتها عن معظم الانتفاضـات العفويَّة التي حدثت

في البـلاد في تلك الفترة، وكان للوضع الدوليّ في نهايـة حزيران عام ١٩٢٠ أثر كبير في تصعيد النضال التحرُّريّ للشعب العراقي.

بالإضافـة إلى ذلـك، تحطَّمـت الآمال التي عقدهـا بعض الوطنيِّـين المخلصين في العراق على حسـن نيَّة بريطانيا في إنشـاء دولة عربيَّة مستقلَّة في (الشرق الأدنى)، وكان القـرار الـذي اتُّخذ في مؤتمر سـان ريمو عـام ١٩٢٠، والذي نصَّ على اقتسـام العراق وسـوريا ولبنان وفلسطين بين كلٍّ من بريطانيا وفرنسا، قد كشف عن تنكُّر المستعمرين للوعود التي قطعوها على أنفسهم للشعب العربيّ، وعلى ذلك أصبحت الشعارات التي تدعـو إلى تعميق النضال ضدَّ الوجود البريطاني تلقـى تأييدًا متزايدًا بين مختلف الفئات الوطنيَّة في العراق.

كانـت ثورة العشرين نقطة تحوُّل كبيرة في مسـيرة العـراق والعراقيِّين، برغم عدم تكافؤ الطَّرفين، فقد اسـتطاعت الثورة أن تُجبر المسـتعمرين البريطانيِّين على الإيفاء ولو بجزء من وعودهم وعهودهم للعراقيين، فمن النتائج المهمَّة التي تمخَّضت عنها الثورة، هي تنظيم العلاقات العراقيَّة البريطانيَّة على أُسس تعاهديَّة.

المصادر

١. إبراهيم خليل أحمد وجعفر عبَّاس حميدي، تاريخ العراق المعاصر، الموصل، ١٩٨٩.

٢. أحمد الناجي، من أوراق الاحتلال البريطانيّ للعراق (إضاءات على دكَّة عاكف في مدينة الحِلَّة)، الجزء الثالث، الحوار المتمدِّن، العدد ١٠٠٧، تشرين الثاني ٢٠٠٤.

٣. امل فينوغرادوف، قراءة جديدة في ثورة ١٩٢٠ العراقيَّة، ترجمة: عبد الجبَّار ناجي، مجلَّة الحكمة، العدد ٣٧، آب ٢٠٠٤.

٤. أمين سعيد، الثورة العربيَّة الكبرى، الجزء الثاني، القاهرة، د.ت.

٥. جميل موسى النجَّار، السيِّد كاطع العوَّاديّ ودوره في الحياة السياسيَّة العراقيَّة ١٩٠٨-١٩٤٥، بغداد، المكتبة العصريَّة، ٢٠٠٥.

٦. شكري محمود نديم، حرب العراق ١٩١٤-١٩١٨، بغداد، ١٩٧٤.

٧. طونزند، مذكِّرات الفريق طونزند، ترجمة: حامد أحمد الورد، الدار العربيَّة للموسوعات، ط٢، د.م، ١٩٨٦.

٨. عبد الرحمن البزَّاز، محاضرات عن العراق من الاحتلال حتَّى الاستقلال، ط٢، القاهرة، ١٩٦٠.

٩. عبد الرزَّاق الحسنيّ، الثورة العراقيَّة الكبرى، الطبعة الثالثة، مؤسَّسة المحبِّين، إيران، قم، ١٩٧١.

١٠. عبد الرزَّاق الحسنيّ، العراق في دورَي الاحتلال والانتداب، الجزء الأوَّل، مطبعة العرفان، صيدا، ١٩٣٥.

١١. عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسيّ، ج١، بغداد، ١٩٨٩.

١٢. عطيَّة دخيل الطائيّ، الحِلَّة في سنة ١٩١٤-١٩٢١ (دراسة في الأحوال الساسيَّة والإداريَّة)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كليَّة التربية، ابن رشد، جامعة بغداد.

١٣. عليّ الورديّ، لمحات اجتماعيَّة من تاريخ العراق الحديث، الجزء الرابع، دار الراشد، ط٢، بيروت، ٢٠٠٥.

١٤. عليّ هادي المهداويّ، الحِلَّة في العهد العثمانيّ المتأخِّر ١٨٦٩-١٩١٤، ٢٠٠٠.

١٥. فاروق صالح العمر، حول السياسة البريطانيَّة في العراق ١٩١٤-١٩٢١، بغداد، ١٩٧٣.

١٦. فلاح محمود خضر البياتيّ، وعبد الكريم حسين عبد، سياسة الاحتلال البريطانيّ للعراق في منطقة الفرات الأوسط ١٩١٧-١٩٢٠، مجلَّة كليَّة التربية الأساسيَّة، جامعة بابل، العدد ٦، آذار ٢٠١٢.

١٧. فيليب ايرلند، العراق (دراسة في تطوُّره السياسيّ)، ترجمة: جعفر الخيَّاط، دار الكشَّاف، بيروت، ١٩٤٩.

١٨. ل.ن.كوتلوف، ثورة العشرين التحرريَّة الوطنيَّة في العراق، ترجمة: عبد الواحد كرم، بغداد، ١٩٧١.

١٩. محمَّد مهدي البصير، تاريخ القضيَّة العراقية، ج١، مطبعة الفلاح، د.ت.

٢٠. مذكِّرات تحسين عليّ (١٨٩٠-١٩٧٠)، تقديم ومراجعة: د. صالح العابد، بيروت، ٢٠٠٤.

٢١. هنري فوستر، نشأة العراق الحديث، الجزء الأوَّل، ترجمة: سليم طه التكريتيّ، الطبعة الأولى، بغداد، ١٩٨٩.

٢٢. وميض جمال عمر نظمي، ثورة١٩٢٠، ط٢، بيروت، ١٩٨٥.

٢٣. يوسف كركوش الحِلِّيّ، تاريخ الحِلَّة، النجف الأشرف، المطبعة الحيدريَّة، ١٩٦٥.

٢٤. يونس عبَّاس نعمة، عشائر مدينة الحِلَّة بين سياسة التفرقة العثمانيَّة وسياسة الاحتواء البريطانيَّة (١٨٦٩-١٩٢٠)، مجلَّة كليَّة التربية الأساسيَّة، جامعة بابل، العدد ١، آذار ٢٠٠٩.